البلد الحرام في القرآن الكريم
والسنة النبوية - دراسة فكرية-

The Sacred Country in the
Noble Qur'an and the Sunnah of the Prophet
- Intellectual study-

أ.م.د. خالد مصطفى عبيد عبد المنعم

Assistant Professor Dr.
Khaled Mustafa Obaid Abdel Moneim

كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة

رئيس قسم الدعوة والخطابة والفكر / بغداد

tr1eucfas@gmail.com

ملخص البحث

ان الله تعالى اختص ما يشاء من الامكنة والازمنة وعباده، فأختص مكة بلده الحرام من بين المدن والاماكن فجعلها حرمه وموضع بيته المكرم، وقبلة الناس اجمعين، فقد عانى عالمنا من ازمات عديدة على المستوى الثقافي والاخلاقي، ومن هنا تناول بحثي هذا موضع البلد الحرام في القرآن الكريم والسنة النبوية ودراسته من الناحية الفكرية محاولاً ايجاد السُبل والوسائل الكفيلة بالبناء الايماني والاخلاقي في المجتمعات عن طريق تعظيم هذه الشعيرة الا وهي تعظيم البلد الحرام، الذي جعله الله (عز وجل) مناسك لعباده المؤمنين وأوجب عليهم الاتيان اليه من كل فج عميق.

الكلمات المفتاحية: البلد الحرام-مكة المكرمة-القرآن الكريم-السنة النبوية-الفكر الاسلامي المعاصر

Abstract

God Almighty singled out what He willed of places and times for worship, so He singled out Makkah as His Sacred Country among the cities and places, making it His sanctuary, the place of His honorable home, and the qiblah of all people. And studying it from an intellectual point of view, trying to find the way and means to build faith and morality in societies by venerating this ritual, which is the glorification of the sacred land, which God (Almighty and Majestic) has made rituals for the worship of believers and it is an obligation for him to come to it from every deep path.

Keywords: The Sacred Country-Makkah Al-Mukarramah- The Holy Qur'an-The Prophetic Sunnah-Contemporary Islamic Thought

المقدمة

الحمد لله رب العالمين يخلق ربنا ما يشاء ويختار، وكل شئ عنده بمقدار والصلاة والسلام على النبي المصطفى المختار نبينا محمد وعلى آله وصحبه البررة الاطهار، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار، ان الله (عز وجل) إصطفى هذه البقعة المباركة وحرَمها منذ خلق السماوات والارض وجعل مكة وما حولها حرماً واغنى بماء زمزم عن الطعام، وشفا به سقماً، وجعل سيدنا محمداً افضلُ مَن الحجر الاسود قبَّل، وفي الطواف بالكعبة هلّ، وصلى خلف المقام الذي للخليل فيه اثر، قال تعالى:﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [1]، واخبر الله (تعالى) انه ابقى فيه آيات بينات ودلالات ظاهرات فكان هذا البيت بعد بنائه اول بيت بني في الارض للعبادة واكد الله (عز وجل) على حرمة وعظم هذا البيت وبقاء هذه الحرمة ودوامها الى يوم القيامة كما اكد على ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلبم) وبين ان مكة هي حرم الله الى يوم القيامة.

تبين مما تقدم عظم مكانة هذا البلد وعلو منزلته وقدره لذلك كان هذا الدافع للكتابة عن فضائل البلد الحرام في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وشئ من احكامه مع ايضاح الصورة الشرعية لتعظيمه المبنية على نصوص الكتاب العزيز وهدي سيد المرسلين (صلى الله عليه وسلم).

اهمية البحث:

١. البلد الحرام هي البقعة التي ولد فيها اشرف الخلق (عليه الصلاة والسلام)، وفي

(١) سورة النمل: الاية ٩١.

احد جبالها نزل عليه الوحي، كما انها تضم اعظم مسجد في الاسلام.

٢. واجب تعظيم وتقديس المسلمين لهذه البقعة المباركة.

٣. ابراز التاريخ المشرف لمكة المكرمة.

٤. الامة الاسلامية في حاجة الى الدعوة، ولا تصل هذه الدعوة بصورتها المشرقة الا عن طريق الدعاة والمفكرين ونتاجاتهم الفكرية والدعوية.

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث فيما يأتي:

١. معالجة موضوع مهم الا وهو: غفلة كثير من المسلمين عن بعض الاحكام الخاصة بالبلد الحرام.

٢. هل أُعطي هذا الموضوع حقه من الدراسات العلمية من الناحية الفكرية.

فروض البحث: يسعى البحث للتأكد من صدق الفروض الآتية:

١. اهمية معرفة ملامح العمل الفكري والدعوي في هذا الجانب.

٢. يجب الوقوف على جهود العلماء والدعاة والمفكرين في هذا المجال.

٣. هل كان المسلمين على مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقهم بما حباه الله (عز وجل) به البلد الحرام من علوٍ ورفعة على سائر البلدان والاقطار.

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يدرس الظاهرة ويقدم وصف شامل وتشخيص دقيق لواقع الموضوع المدروس، ويحدد العلاقات التي تربط بين الظواهر والاتجاهات والنتائج، كما يستخدم الباحث المنهج التاريخي لحاجته لتوثيق ونشأة ومراحل تطوير وعمران البلد الحرام.

الدراسات السابقة:

وقف الباحث على بعض الدراسات ذات الصلة منها.

١. فضائل البلد الحرام واهم احكامه: اسراء بنت ابراهيم الهاشمي، كلية اللغات والعلوم والاداب، جامعة الملك بعد العزيز، المملكة العربية السعودية.

٢. فضائل مكة الواردة في السنة: محمد بن عبد الله الغبان.

٣. فضائل مكة وحرمة البيت الحرام: عاتق بن غيث البلادي.

٤. احكام الحرم المكي: سامي بن محمد الصقير، رسالة ماجستير في الفقه، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض.

٥. فضيلة مكة وشرفها وفضيلة الصلاة بمكة وفضيلة الصيام بمكة، عبد الله بن عبد الغني الخياط.

خطة البحث:

وتم تقسيم البحث على مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع.

كان المبحث الاول منه للتعريف بالبلد الحرام وبيان أسماءه وحدوده مبدأ امره.

فيما كان المبحث الثاني يوضح فضائل البلد الحرام وبيان لبعض أحكامه.

اما المبحث الثالث فقد خصصته لإيضاح المواقع المعظَّمة في البلد الحرام وأحكامها.

اما المبحث الرابع فقد تناول موضوع تعظيم هذا البلد المقدس وبيان الامور المشروعة والممنوعة فيه.

وكان المبحث الخامس والاخير عن الدروس والآثار الفكرية المستنبطة من تعظيم البلد الحرام.

ثم ختمت البحث بخاتمة بيّنت فيها أهم النتائج.

المبحث الاول

البلد الحرام (أسماؤه، حدوده، ومبدأ أمره)

(البلد والبلدة بمعنى، والجمع (بلاد) و (بلدان) (والبلادة) بالفتح ضد الذكار وبابه ظُرفَ فهو بليد)[1].

الحرام ضد الحلال وكذا (الحِرمْ) بالكسر (وحرامٌ على قرية أهلكناها) وقال الكسائي معناه: واجبٌ، و (الحرمان) مكة والمدينة.

و (الحرم) قد يكون الحرام مثل زمن وزمان، و(أحرم) الرجل ذخل في الشهر الحرام و(الاحرام) بمعنى التحريم[2]، قال تعالى: ﴿ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[3].

أولاً: أسماءه: بلد الله الحرام، الذي حرّمه وشرّفه وقدسه تعددت أسماؤه تشريفاً للمسمى ومن اسمائه التي وردت في القرآن الكريم:

١ – مكة: وهو اشهر أسمائه، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[4].

ومن أسمائه بكة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[5]

---

(١) مختار الصحاح: الامام محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ط٩، مادة (البلد)، ص ٦٣.

(٢) المصدر السابق: مادة (حرم)، ص ١٣٣.

(٣) سورة الذاريات، الاية: ١٩.

(٤) سورة الفتح: الاية ٢٤.

(٥) سورة آل عمران، الاية ٩٦.

٢– **أم القرى:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾[١]، **وام القرى هي مكة بإتفاق المفسرين وسميت بهذا الاسم لأنها اشرف وافضل من سائر البلاد واحبها الى الله والى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)**[٢].

٣– **ومن أسمائه البلد الامين، قال تعالى:** ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾[٣]، **الى غير ذلك من الاسماء الكثيرة التي سُمي بها هذا البلد الامين**[٤].

قال تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ ﴾[٥]، **قال ابن عباس: هي مكة، بلغني ان النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: هي مكة، ذكر ذلك (الفاكهي)٦*، ونُقل عن ابن جرير انه قال انها مكة**[٧].

ومن اسماء مكة (الباسّة فقاله مجاهد، لأنها تبسّ من الحد فيها اي تهلكه اي تحطه، من قوله تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ ﴾[٨].

---

(١) سورة الشورى، الاية ٧.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي الشافعي، دار الفكر، بيروت– لبنان، طبعة ١٤٠١هـ – ٤/ ٥٢٦.

(٣) سورة التين ، الاية: ١ – ٣.

(٤) ينظر: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام: محمد بن احمد ابو الطيب الفاسي المكي المالكي، مكتبة النهضة الحديثة، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ١/ ٤٨.

(٥) سورة البلد، الاية ١.

(٦) * ابو عبد الله محمد بن اسحاق الفاكهي الكناني ت: (٢٨٠هـ)، وهو مؤرخ عربي مسلم من مؤرخي القرن الثالث الهجري في مكة المكرمة، ينظر شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ص ١٧.

(٧) جامع البيان في تأويل اي القران، محمد بن جرير الطبري، ٤/ ١١.

(٨) ينظر: الاحكام السلطانية والولاياتا الدينية، ابو الحسن علي بن محمد الماوردي، مطبعة الحلبي،

ثانياً: أما حدود الحرم فهو ما احاط بمكة واطاف بها من جوانبها، وجعلِ الله (عز وجل) حكمة حكمها في الحرمة تشريفاً لها، اشار الى ذلك الماوردي[1]*، واختلف في سبب تحريمه، فقيل: ان آدم (عليه السلام) لما أُهبط خاف على نفسه من الشيطان فإستعاذ بالله (عز وجل) منه فأرسل الله (عز وجل) ملائكة حفّوا مكة من كل جانب ووقفوا في موضع انصاب الحرم يحرسون آدم فصار بينه وبين موقف الملائكة حرماً[2].

حدوده:

لأهمية هذا الامر وما يتعلق به من احكام كثيرة شرعها الله تعالى لحرمة هذا البيت كان تحديد الحرم بوحي من الله تعالى، فنزل جبريل يضع انصاب الحرم، (وقد جددت انصاب الحرم على زمن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فبعث عام الفتح تميم بن اسد الخزاعي فجددّ انصاب الحرم).[3]

روى ابو نعيم عن ابن عباس (رضي الله عنه) ان النبي (صلى الله عليه وسلم) (بعث عام الفتح أسداً فجدد انصاب الحرم، وكان ابراهيم وضعها يريه إياها جبريل)[4].

وهكذا كانت حدود الحرم تجدد حسب الحاجة الى زماننا هذا[5]، قال الامام النووي:

القاهرة، طبعة ١٩٦٦م، ص ١٥٨.

(١) * ينظر الاحكام السلطانية: الماوردي، ص ١٥٧.

(٢) ينظر: شفاء الغرام، الفاسي المكي، ١/ ٨٥.

(٣) رواه ابو نعيم في معرفة الصحابة، ١/ ٤٥٢، وحسن اسناده الحافظ ابن حجر (رحمه الله) في الاجابة في تمييز الصحابة عند ترجمة تميم بن اسل الخزاعي (رضي الله عنه)، ١/ ٣٧٦.

(٤) الاصابة في تمييز الصحابة: احمد بن علي بن حجر العسقلاني، ١/ ١٨٣.

(٥) وكان اخرها صدور الامر المكلي بتشكيل لجنة برئاسة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام وامام وخطيب المسجد الحرام للقيام بتعيين حدود الحرم الملكي في الجبال والاودية المحيطة بالحرم واتمت اللجنة اعمالها، وبدئ في تنفيذ المشروع على الطبيعة، البلد الحرام فضائل واحكام اعداد كلية الدعوة واوصل الدين، جامعة ام القرى، طبعة دار ابن حزم، ط١، ص ١٣.

واعلم ان معرفة حدود الحرم من اهم ما ينبغي ان يعتني به، فإنه يتعلق به احكام كثيرة[1].

ثالثاً: مبدأ امر الحرم وبناء الكعبة المشرفة

لقد ارتبط أمر بناء الكعبة وبداية امر الحرم والكعبة والمناسك بأسم خليل الرحمن ابراهيم وابنه اسماعيل (عليهما السلام)، قال ابن كثير: (فإن ظاهر القرآن يقتضي ان ابراهيم (عليه السلام) اول من بناه مبتدءاً، واول من اسسه)[2].

وفي خير البناء وقيام الخليل ابراهيم (عليه السلام) به، يساعده ابنه اسماعيل، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾[3].

ووردت الروايات الصحيحة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في مبدأ الحرم وقصة البناء، فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : اول ما اتخذ النساء المِنْطَق[4]، من قبل ام اسماعيل اتخذت مِنْطَقاً لتعفي اثرها على سارة.

انطلق ابراهيم (عليه السلام) واستقبل بوجهه البيت الحرام ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه، فقال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ

(١) تهذيب الاسماء واللغات: الامام يحيى بن شرف النووي، ٣/ ٨٢، نقلاً عن كتاب البلد الحرام فضائل واحكام، ص ١٣.

(٢) البداية والنهاية: او الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٩٨٦م، ٢/ ٢٧٧.

(٣) سورة البقرة: الاية ١٢٧.

(٤) المنطق: بكسر الميم وسكون النون وفتح الطاء، هو ما شد به الوسط، افاده ابن حجر في الفتح الباري شرح صحيح البخاري احمد بن علي بن حجر العسقلاني، تعقيب: عبد العزيز بن باز، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٠م، ٦/ ٤٦١.

بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴿٣٧﴾﴾[1].

وبعد ان ذهب سيدنا ابراهيم (عليه السلام) امتثالاً لأمر الله تعالى وترك زوجته وابنه اسماعيل في حفظ الله (عز وجل) ورعايته، عاد بعد فترة طويلة من الزمن فقال لإبنه: ان الله (عز وجل) أمرني ان ابني هاهنا بيتاً، واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها، فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني، حتى اذا ارتفع جاء بهذا الحجر موضعه له، وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2].

قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: (ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم)[3]، فكان هذا البيت بعد بنائه اول بين بني في الارض للعبادة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [4]**، وروى البخاري عن ابي ذر (رضي الله عنه) قال، قلت: يا رسول الله اي مسجد وضع في الارض أول؟ قال: المسجد الحرام، قال: قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الاقصى قلت كم كان بينهما؟ قال: (اربعون سنة)[5].**

وقد اخبر الله تعالى انه ابقى فيه آيات بينات ودلالات ظاهرات انه من بناء ابراهيم الخليل (عليه السلام) وان الله (عز وجل) عظمه وشرفه، فقال تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ

---

(١) سورة ابراهيم، الاية: ٣٧.

(٢) سورة البقرة، من الاية: ١٢٧.

(٣) صحيح البخاري: الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري، ضبط النص: محمود محمد حسن نصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢نم، كتاب الانبياء، باب: يزفون، النسلان، ح ٣٣٦٤.

(٤) سورة آل عمران، الاية: ٩٦.

(٥) صحيح البخاري، في احاديث الانبياء، باب (١٠)، ح ٣٣٦٦٠.

بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ (١)، قال قتادة ومجاهد: مقام ابراهيم من الآيات البينات(٢).

ومن الجبال المحدقة بمكة اخشاها وهما (ابو قبيس) اول جبل على الارض و (الجبل الاحمر) على ما ذكر الازرقي(٣).

وقيل في سبب تسمية هذا الجبل بأبي قبيس تعريفه (بقبيس بن شالح) رجل من جُرهم وكان قد هرب الى الجبل فأما مات او تردّى منه فسُمي الجبل أبا قبيس(٤).

والاخشب في اللغة:

كل جبل خشن غليظ وهو في صحاح الجوهري بمعنى ذلك(٥).

وروى الازرقي في كتابه (اخبار مكة) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) مما ورد في تعظيم وبيان مكانة هذا المكان الطاهر المقدس انه قال: صبح الحواريون فلما بلغوا الحرم مشوا تعظيماً للحرم(٦)، وجاء من النحاة من الذنب في الالتجاء الى الحرم حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: لما عقدوا ثمود الناقة

(١) سورة آل عمران، الاية: ٩٧.

(٢) تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، محمد بن جعفر بن حرير الطبري، تحقيق احمدشاكر، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ٤/ ٨.

(٣) ينظر: اخبار مكة، الارزقي، ٢/ ٢٦٦.

(٤) الروض الانف: ابو القاسم السهيلي، مطبعة الجمالية، مصر، ط١، ١/ ٢٢١.

(٥) الصحاح، اسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م، ج١، باب الباء فصل الخاء.

(٦) ينظر: اخبار مكة، محمد بن عبد الله الازرقي، ٢/ ١٣٧، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، محمد بن احمد بن علي الفاسي المكي، د١، ١١٥.

فأخذتهم الصيحة، لم يبق تحت السماء منهم احد الا اهلكته الا رجلاً واحداً كان في حرم الله (عز وجل) فمنعه الحرم، فقالوا: ما هو يا رسول الله؟ قال: ابو رغال، فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه، اخرجه الامام احمد في مسنده[1].

وتبين مما تقدم عظم مكانة هذا البلد الحرام وعلوّ منزلته وقدره، وذلك من خلال النصوص الشرعية السابقة الوارة في تعدد اسمائه ووضع حدوده وذكر مبدأ امره وما يأتي من بيان حرمته.

المبحث الثاني
فضائل البلد الحرام وبعض أحكامه

أولاً: حرمة مكة بلد الله الحرام

ان الله (عز وجل) اصطفى هذه البقعة وحرّمها منذ خلق السماوات والارض، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[2]، ودل على ذلك ايضاً حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، اذ قال يوم فتح مكة: (ان هذا البلد حرمه الله يوم خللق السماوات والارض، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة)[3].

قال ابن كثير: مكة لم تزل بلداً حراماً قبل بناء ابراهيم (عليه السلام) لها، كما انه قال: كان رسول الله (صلى الله عليخه وسلم) مكتوباً عند الله خاتم النبيين وان ادم لمنجدل في

---

(١) مسند الامام احمد بن حنبل الشيباني، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٣/ ٢٩٦.

(٢) سورة النمل، الاية: ٩١.

(٣) صحيح مسلم: الامام ابو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٩٩١م، باب تحريم مكة وصيدها وشجرها وحلالها لقطتها، ج ١٣٥٣٠.

طينته[1]. ومع هذا قال ابراهيم:﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾[2].

وفي تطهير ابراهيم (عليه السلام) لبيت الله (عز وجل) وادانه للناس بالحج، يقول تعالى: ﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾[3]، واكد على حرمة البيت الحرام والحرم وبقاء هذه الحرمة رسولنا صلى الله عليه وسلم فقال: (ان الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله الامين، وانها لن تحل لأحد كان قبلي، وانها أحلت لي ساعة من النهار، وانها لن تحل لأحد بعدي)[4].

ثانياً: أحب البلاد الى الله (عز وجل)

وامتنان الله (عز وجل) على اهل هذا البلد الحرام بذلك هو من باب تذكريهم بفضل النعمة وتحذيرهم من سوء الادب في بيته وحرمه، قال تعالى:﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ

(١) الحديث اخرجه لاالعرياض بن سارية يرفعه الامام احمد ابن حنبل في المسند مسند الامام احمد بن حنبل الشيباني، دار احياء التراث، بيروت، ١٩٩١م، (٤/ ١٢٧) وابن حبان في صحيحه، صحيح ابن حبان، محمد بن احمد ابو حاتم بن حبان البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٣م، رقم ٦٤٠٤ ومجمع الزوائد، علي بن ابي بكر الهيثمي، ٨/ ٢٢٣ وقال الهيثمي في المجمع: (واحد رجال اسانيد الامام احمد من رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان)

(٢) سورة البقرة، من الاين: ١٢٩.

(٣) سورة الحج، الاية ٢٦– ٢٧.

(٤) صحيح البخاري في اللقطة، باب كيف تعرف لقطة اهل مكة، وصحيح مسلم في الحج، باب تحريم مكة وحيدها... ح (د ١٣٥) واللفظ لمسلم.

إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

وعن عبد الله بن عدي بن حمراء قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واقفاً على الحزورة[2]، فقال (والله انك لخير ارض الله، واحب ارض الله الى الله ولولا اني أخرجتُ منك ما خرجت)[3].

واكد النبي (صلى الله عليه وسلم) ان البلد الحرام مأرز الايمان فقد روى مسلم في صحيحه[4] عن ابن عمر (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (ان الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرز[5] بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها).

ثالثاً: تحريم الإلحاد في الحرم

حرّم الله (عز وجل) في كتابه الكريم الالحاد في حرمة مكة، وتوعد من فعل ذلك بالعذاب الاليم والخزي العظيم فقال:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[6].

---

(١) سورة القصص، الاية ٥٧.

(٢) الحزورة: الرابية الصغيرة، وهي موضع كانت سوقاً لأهل مكة ثم دخلت المسجد اغلرحام، ينظر: (اخبار مكة)، محمد بن عبد الله الازرقي، ٢/ ٢٩٤.

(٣) الحديث اخرجه الترمذي في سننه وصححه، ابو عيسى بن محمد الترمذي، تحقيق: احمد محمد شاكر مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط٢، ح (٣٩٢٥).

(٤) صحيح مسلم في كتاب الايمان، باب بيان ان الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، ح ١٤٦.

(٥) يأرز: اي ينضم ويجتمع بعضه الى بعض (النهاية في غريب الحديث والاثر): ابي السعادات محمد بن المبارك ابن الاثير، تحقيق: طاهر احمد الزواري، ١/ ٣٧.

(٦) سورة الحج، الاية: ٢٥.

قال ابن جرير: (هو ان يميل في البيت الحرام بظلم)[1]، وقد فسره العلماء بالشرك، وفسره آخرون باستحلال الدم، وفسره بعضهم بأحتكار الطعام بمكة[2].

وقد عدّ الصحابي الجليل ابن عمر (رضي الله عنه) الالحاد في الحرم من كبائر الذنوب والاثام، فروى الامام الطبري في تفسيره عن طيلسة بن علي قال: (أتيت ابن عمر يوم عرفة، قلت: اخبرني عن الكبائر؟ قال: الاشراك بالله، وقذف المحصنة، قال: قلت: قبل القتل؟ قال: نعم ورغماً، وقتل النفس المؤمنة، والفرار من الزحف، والسحر، واكل الربا، واكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد بالبيت الحرام قبلتكم احياء واموتاً)[3].

فهذا يدل على ان السيئة في الحرم عظيمة حتى في الهم بالسيئة فيه هذا الوعيد، واذا كان من همّ بالالحاد في الحرم موعداً بالعذاب الاليم، وهذا كله على ان السيئة في الحرم لها شأن خطير.

رابعاً: تحريم القتال وسفك الدماء بمكة وايذاء قاطنيها

وهي مسألة عظيمة وهي اهم مقتضيات حرمة البلد الحرام، وكم هي الايات الواردة في حرم الله التي تذكرنا بأبراهيم الخليل (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا

(١) تفسير الطبري، ١٧/ ١٠٣.

(٢) تفسير الطبري، ١٧/ ١٠٤.

(٣) اخرجه بهذا اللفظ ابن جرير في تفسيره ٥/ ٢٦ واخرجه البخاري في الادب المفرد بأسناد صحيح، ينظر: صحيح الادب المفرد، ص ٣٥، ٦/ ٨.

يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ [1]، وقال سبحانه في سياق الامتنان على الناس: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [2].

وقال القرطبي في الحديث عن مكة: (انها لم تزل حرماً من الجبابرة المسلطين، ومن الخسوف والزلازل وسائر المثلات، وجعل في النفوس المتمردة من تعظيمها والهيبة لها ما صار به أهلها متميزين بالأمن من غيرهم من اهل القرى)[3].

ولم يأذن الله تعالى لرسوله (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنون بقتال وقتل الكافرين بمكة الا اذا ابتدرهم الكافرون بالقتال، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾ [4].

وهكذا فعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإنه (أمّن كل من القى سلاحه ولم يقاتل المشركين يوم الفتح، ولذا يجب على ساكن الحرم وقاصده من الوافدين ان لا يهتكوا حرمة الحرم بإيذاء الناس فيه، ونشر الذعر بينهم، فإن ذلك فأعظم الآثام)[5].

خامساً: تحريم دخول الكفار والمشركين مكة

وهذه خصيصة من خصائص الحرم بلد الله (عز وجل) الامن، فلا يجوز مطلقاً ان يُمكنْ كافر او مشرك من اليهود او النصارى وغيرهم من دخول بلد الله الحرام، لأن المشركين نجس وبلد الله (عز وجل) مطهر مقدس، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) سورة القصص، الاية: ٥٧.
(٢) سورة العنكبوت، من الاية ٦٧.
(٣) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): محمد بن احمد القرطبي دار الكتاب العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧ن، ٢/ ١١٧.
(٤) سورة البقرة، من الاية ١٩١.
(٥) ينظر: شفاء الغرام، ابو علي الفاسي المكي، ص ١١٩.

ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ (١).

وتنفيذاً لهذا الامر الالهي بعث النبي (صلى الله عليه وسلم) أبا بكر الصديق في العام التاسع ليؤذن في الناس: (ان لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان)(٢).

واتفق اهل العلم على ان من اراد دخول مكة لحج او عمرة لا يدخلها الا محرماً وقال الحافظ ابن حجر: وحاصله انه خص الا حرام بمن اراد الحج او العمرة واستدل بمفهوم قوله في حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) (ممن اراد الحج والعمرة) مفهومه ان المتردد الى مكة لغير قصد الحج والعمرة لا يلزمه)(٣).

المبحث الثالث

المواقع المعظَّمة في البلد الحرام

اولاً: الكعبة وبعض احكامها

هي بيت الله (عز وجل) الحرام الذي في وسط المسجد الحرام مربع الشكل بابه مرتفع عن الارض، قيل: سميت بذلك لتكعيبها(٤)، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم

(١) سورة التوبة، الاية: ٢٨.

(٢) الحديث اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب لا يطوف بالبيت عريان ولا يحج مشرك، ح ١٦٢٢.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: الحافظ ابن حجر، ٤/ ٧٠– ٧١.

(٤) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث: ابو موسى الاصفاني، مركز احياء التراث الاسلامي، القاهرة، ٣/ ٥٢.

بأسمها الصريح (الكعبة) وورد بأسم آخر ففي الصريح قال تعالى:﴿ * جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾[1]، وقال تعالى:﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾[2]، وقال تعالى:﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾[3].

فالكعبة هي البيت الحرام، وهي البيت العتيق، وللكعبة بيت الله الحرام عدداً من الآداب والاحكام:

أ- الطواف حولها: لم يأذن الله (عز وجل) لأحد بالطواف على بنيان غير الكعبة بيته الحرام، وجعل من افضل الاعمال فأمر به في كتابه الحكيم فقال: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾[4]، وامر خليله ابراهيم وابنه اسماعيل (عليهما الصلاة السلام) بتطهير بيته الحرام فقال تعالى﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾[5].

عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) انه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول (من طاف سبعاً فهو كعدل رقبة)[6]، واوجب الشارع عن كل حاج اراد الخروج من مكة ان يطوف بالكعبة طواف الوداع، روى البخاري في صحيحه عن ابن

(١) سورة المائدة، الاية ٩٧.
(٢) سورة البقرة، الاية ١٢٧.
(٣) سورة الحج، الاية: ٢٦.
(٤) سورة الحج، من الاية: ٢٩.
(٥) سورة البقرة، من الاية: ١٤٤
(٦) سنن النسائي: السنن الكبرى، احمد بن شعيب ابو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبد الغفار البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ٥/ ٢٢١.

عباس قال: (لا ينفرن احد حتى يكون اخر عهده بالبيت)[1].

ب– الكعبة قبلة المسلمين احياء وامواتاً: جعل الله (عز وجل) الكعبة بيته الحرام قبلة المسلمين يتوجهون اليها عند صلاتهم لربهم (عز وجل)، قال تعالى آمراً رسوله (صلى الله عليه وسلم) : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[2]، وكما كانت الكعبة قبلة المسلم في صلاته في حياته فهي قبلته ميتاً، كما في الحديث الموقوف عن (ابن عمر) (رضي الله عنهما) في ذكر الكبائر وفيه: استحلال البيت الحرام قبلتكم احياء وامواتاً)[3]، فالميت يُجعل في قبره على جنبه اليمين ووجهه قبالة القبلة ورأسه ورجلاه الى اليمين من القبلة ويسارها.

وعلى هذا جرى عمل اهل الاسلام من عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى يومنا هذا، وهكذا كل مقبرة على ظهر الارض لأهل الاسلام[4].

ثانياً: الحجر الاسود

وهو الحجر المنصوب في الركن الشرقي للكعبة، من محاذاته يبدأ الطواف حول الكعبة وهو من الآيات البينات في حرم الله (عز وجل) الآمن.

الحجر الاسود من الجنة: لقد وردت النصوص الشرعية مثبتة ان الحجر الاسود من الجنة، كان اشد بياضاً من اللبن، ولكن سوّرته خطايا بني آدم، وعلمنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الطريقة المشروعة لتعظيم الحجر الاسود، فمن طاف بالكعبة ابتدأ طوافه به، وسنّ له ان يقبله ان امكنه ذلك والا استلمه بيده ومسحه مسحاً ثم قبل يده،

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب طواف الوداع، ح ١٧٥٥.
(٢) سورة البقرة، من الاية: ١٤٤.
(٣) تقدم تخريجه في صحيح البخاري في الادب المفرد، ٦/ ٨.
(٤) البلد الحرام فضائل واحكام، ص ٦٩.

وروى البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: (طاف النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت على البعير، كلما أتى الركن اشار اليه بشئ كان عنده وكبر)[1].

ثالثاً: مقام ابراهيم

من الآيات البينات في حرم الله (عز وجل) مقام ابراهيم، وقد ورد في الآثار انه الحجر الذي قام عليه خليل الرحمن ابراهيم (عليه السلام) عند بناء الكعبة المشرفة لما ارتفع البناء ثم قام مؤذناً عليه الناس بالحج بعد ان اكتمل بناء الكعبة[2].

ولقد نوه الله تعالى سبحانه وتعالى بذكره في كتابه وذكره من جملة اياته البينات في حرمه الامن فقال تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[3].

قال ابن جرير في تفسير الاية: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[4]، فيه علامات بينات من قدرة الله (عز وجل) واثار خليله ابراهيم (عليه السلام)، منهن اثر قدم خليله ابراهيم في الحجر الذي قام عليه[5]، وامر الله (عز وجل) بإتخاذه مصلى لمن طاف بيته الحرام فقال: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى ﴾[6]، والصلاة خلف المقام بعد الطواف سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فعند النسائي عن ابي عمر (رضي الله عنها) قال: طاف النبي بالبيت سبعاً

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب التكبير عند الركن اليماني، ح ١٦١٣.
(٢) ينظر: شفاء الغرام، الفاسي المكي، ١/ ٢٠٣.
(٣) سورة آل عمران، الاية ٩٧.
(٤) سورة آل عمران، الاية: ٩٦.
(٥) تفسير ابن جرير الطبري، ٤/ ٩.
(٦) سورة البقرة، من الاية: ١٢٥.

وصلى خلف المقام ركعتين وطاف بين الصفا والمروة وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حَسَنة)[1].

قال قتادة: (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) انما امروا ان يصلوا عنده ولم يؤمروا بمدحه والتبرك به وتقبيله)[2]، والمقام مكان نداء ابراهيم بالحج بعد ان تم بناء البيت امره الله (عز وجل) ان يؤمن في الناس بالحج ليفدوا الى بيت ربهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾[3].

رابعاً: الصفا والمروة

وهما من شعائر الله تعالى العظيمة في الحرم كما قال تعالى:﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[4]، فقد بين الله (عز وجل) ان الصفا والمروة والطواف بهما من شعائر الله اي مما شرع الله (عز وجل) لإبراهيم الخليل (عليه الصلاة والسلام) في مناسك الحج، فالساعي بينهما ينبغي ان يستحضر فقره وذله وحاجته الى الله تعالى في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه، ويلتجيء الى الله تعالى ليزيح ما هو به من النقائص والعيوب وان يحوله من حالة الى حال الكمال والغفران والاستقامة كما فعل بالسيدة (هاجر) ام النبي (اسماعيل) (عليها السلام)[5].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب قوله تعالى انما أمروا ان يصلوا عنده ولم يؤمروا بمدحه والتبرك وتقبيله، رقم ٣٩٥.

(٢) ينظر: الحوادث والبدع، ابو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، تحقيق بشير عيون، ص ١٠٣.

(٣) سورة الحج، الاية: ٢٧.

(٤) سورة البقرة، من الاية ١٥٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٥/ ٤٣٨.

خامساً: عرفات، منى، مزدلفة

من المواقع المعظمة في البلد الحرام وحوله المناسك المكانية التي أمر الشرع بقصدها في اداء فريضة الحج، وإلا ان عرفة ليست من الحرم وجاءت النصوص تؤكد وتشير الى فضل هذه الاماكن وما يشرع من الاعمال والعبادات ومن ذلك قوله تعالى:﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

ففي هذه الايات تصريح بذكر (عرفات) واشار اليها في قوله:﴿ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ وفيها اشارة الى مزدلفة في قوله (المشعر الحرام) وهو ما بين جبلي مزدلفة الى مأزمي عرفة الى محسّر[2].

روى البخاري عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وسائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الاسلام أمر الله نبيه (صلى الله عليه وسلم) ان يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾[3] وكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والسدي وغيرهم، واختاره ابن جرير وحكى عليه الاجماع[4].

---

(١) سورة البقرة، الاية: ١٩٨- ١٩٩.

(٢) ينظر: تفسير الطبري، ١/ ١٦٧.

(٣) صحيح البخاري في التفسير باب قوله تعالى رقم ٤٥٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٤٢.

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾[1] **وقوله تعالى:** ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ﴾[2]**، فهاتان الايتان فيهما اشارة الى (منى) ذلك ان الايام المعدودات هي ايام التشريق بمنى، قال القرطبي: (ولا خلاف بين العلماء ان الايام المعدودات في هذه الاية هي ايام منى، وهي ايام التشريق)**[3].

هذه بعض النصوص القولية في تخصيص هذه المناسك المكانية وقصدها لأداء ما شرع الله (عز وجل) من اعمال الحج، ويبين ذلك ويوضحه جلياً فعل النبي (صلى الله عليه وسلم) في حجته، حيث قصد تلك المواقع واقام ذكر الله (عز وجل) فيها[4]، وذلك دليل عملي على ما تقدمت الاشارة اليه من فضيلة هذه المواقع وتعظيم الشارع لها وفضيلة هذه البقاع الطاهرة.

---

(١) سورة البقرة، الاية: ٢٠٣.

(٢) سورة الحج، الاية: ٢٧– ٢٨

(٣) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن احمد الانصاري القرطبي، دار الكتب العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧م، ٣/ ١.

(٤) حجة خير العباد المجرد من زاد المعاد، علي بن محمد بن سنان، دار الكتاب الاسلامي، المدينة المنورة، ص ٢٢٣.

المبحث الرابع

تعظيم البلد الحرام بين المشروع والممنوع

ان المسلمين ممن نأت بهم الديار عن البلد الحرام يشتاقون لرؤية الكعبة، ويتمنون لو تتاح لهم الفرصة فيأتون مكة ويطوفون بالبيت العتيق، ويأنسون بالبقاء فيها أياماً، وبعضهم إذا رأى صورة الكعبة بكى شوقاً وتقطع قلبه لوعة وحسرة، واذا قابل احداً من المسلمين ممن رأى الكعبة قبّل عينيه وسُرّ به سروراً بالغاً[1].

ألا تستدعي هذه الأمور ان يستشعر المقيم والحال بالبلد الحرام المنّة التي أمتن الله (عز وجل) بها عليه والنعمة التي يتمناها كثير من الناس ولا يجدونها.

لقد أُخرج النبي الكريم (صلوات الله وسلامه عليه) من مكة كارهاً وهو يقول: (والله انك لخير أرض الله واحب ارض الله الى الله، ولولا اني أُخرجت منك ما خرجت)[2].

كان السلف الصالح يقدرون حرمة البيت ويعظمونه في نفوسهم تعظيماً عجيباً، حتى ان منهم ممن تحرّج من سكن مكة خشية الوقوع في المعاصي، قال ابن رجب: (وكان جماعة من الصحابة يتقون سكنى الحرم خشية ارتكاب الذنوب)[3]، وروي عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: (لأن اخطيء سبعين خطيئة، يعني: بغير مكة، احب إليّ من ان أخطيء خطيئة واحدة بمكة)[4].

---

(١) ينظر: البلد الحرام فضائل واحكام، مصدر سابق، ص ١٠٦.

(٢) الحديث اخرجه الترمذي في سننه برقم ٣٩٢٥، والنسائي في سننه الكبرى برقم ٤٢٣٨.

(٣) جامع العلوم والحكم: ابو الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الارناؤوط، الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٣٢م، ص ٣٣٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٣٢.

وكيف لا يخشى العبد الوقوع في الخطيئة في البلد الحرام والله تعالى يقول: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، ومن العجب ان اهل الجاهلية كان لهم نصيب من تعظيم البلد الحرام ورعاية حقوق البيت مستشعرين مكانته، ومن مظاهر تعظيمهم للبيت انهم لما ارادوا تجديد بنائه حرصوا حرصاً شديداً على تطييب النفقة وكونها من حلال، فقد روى ابن اسحاق في السيرة: (إن أبا وهب بن عمرو قال: قريش لا تدخلوا فيه من كسبكم إلا الطيب، ولا تدخلوا فيه مهر بغي ولا بيع ربا، ولا مظلمة لأحد من الناس)[2].

ومن مظاهر التعظيم عند قريش في الجاهلية انهم فرضوا على العرب قاطبة ان يطرحوا ازواد الحل اذا دخلوا الحرم، وان يخلو ثياب الحل ويستبدلوا بها ثياب الحرم، إما شرّى وإما عارية وإما هبة، فإن وجدوا ذلك وإلا طافوا بالبيت عرايا[3].

قال القرطبي: (فكانوا في الجاهلية من دخله ولجأ اليه أمن من الغارة والقتل)[4]، بينما نجد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تطهير مكة من الشرك والمعاصي ومن الانجاس والادناس، فإن بعض الناس اليوم وقعوا في مشابهة أهل الجاهلية وارتكبوا ما ينافي في التعظيم الواجب عليهم.

---

(١) سورة الحج، الاية: ٢٥

(٢) سيرة ابن هشام، ابو محمد عبد الملك بن هشام الحميدي، مكتبة المنار، عمان، ط ١٩٨٨، ١/ ٢٢٠، والخبر في السير والمغازي، ص ١٠٤٥ ونسبة ابن هشام الى عائذ بن عمران بن مخزوم.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٥/ ٢١٤، واصل هذا المظهر من كلام عروة بن الزبير، ينظر: صحيح البخاري في الحج، باب الوقوف بعرفة، (ح- ١٦٦٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٦/ ٩١.

وعجباً لحال المستهين بحرمة هذا المكان، كيف يجرؤ على ذلك؟ فالسيئة في حرم الله (عز وجل) وبلده وعلى بساطة أكد وأعظم منها في اطراف الارض[١]. فالمسؤولية إذا على ساكني البلد الحرام أعظم من غيرهم، وتحليهم بالقدوة الحسنة أولى وأجدر ممن سواهم، وهذا ما يدعوهم الى دراسة حال السلف الصالح وكيف كانوا يعظمون البيت حق التعظيم، مستشعرين ان ذلك من تقوى القلوب كما قال (عز وجل): ﴿ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[٢].

فيجب ان يستشعر الجميع من مقيم ومسافر وزائر وحاج ومعتمر هذه الفضائل وهذه المنة التي امتن الله (عز وجل) بها على عباده والنعمة التي يتمناها كثير من الناس ولا يجدونها، ويجب على العبد التحرز من الوقوع في الخطيئة في هذا المقام الشريف وان يبتعد عن الممنوعات ويحث ويواظب على المشروعات امتثالاً لأمر النبي (صلى الله علهي وسلم) وأمر الله عز وجل[٣].

وكثير من عوام الناس يقومون بأداء عبادات محدثة يقصدون بها تعظيم واجلال هذه البقاع الطاهرة من غير مستند شسرعي لذلك، فهناك الكثير من النصوص التي تذكر المؤمنين بمقتضى تعظيم وتوقير هذه الاماكن والبقاع الطاهرة وايمانهم بالله تعالى وتعظيم بيته العتيق وايمانهم بمحمد نبياً ورسولاً، وان جزاء المطيعين جنات النعيم وان جزاء المخالفين عذاب النار[٤].

---

(١) زاد المعاد من هدي خير العباد، محمد بن ابي بكر الزرعي (ابن القيم الجوزية)، ١/ ٥١.

(٢) سورة الحج، الاية: ٣٢

(٣) ينظر: احكام الزيارة وآدابها، تحقيق: وايضاح الكثير من مسائل الحج والعمرة على ضوء الكتاب والسنة وكذلك آداب الزيارة والحج والعمرة في الاماكن المقدسة، الشيخ عبد العزيز بن باز، مطابع الرياض، المدينة المنورة، ٢٠٠٦م.

(٤) اصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ٢٠٠٢م، ص ٣٤.

قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [2].

وحدد الشارع الحكيم اغراض ومقاصد وطرق زيارة هذه الاماكن المطهرة وبيّن النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك من خلال سنته المطهرة، وحذر العلماء من الوقوع في الاخطاء التي تؤدي الى الابتعاد عن الطريق الصحيح ومن ذلك[3]:

١. قيام البعض من الاعتداء على ثوب الكعبة بالقص او التقطيع والأحتفاظ به لأجل التبرك.

٢. الخروج من المسجد الحرام بعد طواف الوداع على القهقري[4].

٣. تخصيص ادعية لبعض الاماكن التي لم يرد فيها ادعية مخصوصة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) مما يسبب ارباك وزحمة لحركة الحجيج والمعتمرين.

٤. ما يشاع على السنة العوام وبعض الجهال من ان من دخل الكعبة لا يجوز له ان يمشي على الارض حافياً، ولا يحكى ما رآه في الكعبة، ومن نظر الى سقفها يحصل له العمى وغيرها من الاوهام[5].

---

(١) سورة النور، الاية: ٦٣.

(٢) سورة الكهف، اية: ٣٠.

(٣) ينظر: البلد احرام فضائل واحكام، ص ١٢٠.

(٤) القهقري: وهو المشي الى الخلف من غير ان يعيد وجهه الى جهة مشيه، ينظر: الصحاح: الجوهري، ج٢، ص ٤٢٠.

(٥) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، محمد طاهر الكردي، ٢/ ٥٢٢.

وشهدت هذه البقاع الطاهرة وهذا البلد الحرام ادوار الدعوة الاسلامية ومراحلها إذ هي مهبط الوحي وكان بها مراحل الدعوة السرية في مكة المكرمة ومراحل اعلان الدعوة في مكة[1]، وشهدت مكة المكرمة هذا الصوت يرتج في ارجاءها حيث نزل قوله تعالى:﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾[2].

وفي مواطن كثيرة في هذا البلد الحرام قصصاً تهز النفوس هزاً واحداث حدثت للنبي (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين معه ومنها ما يرويه ابن عباس قال لما نزلت:﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[3]، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) قائماً على جبل الصفا ينادي قريش: (أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد اي تغير عليكم، اكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، فقال: (اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال ابو لهب: تباً لك سائر اليوم، فنزلت: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴿٣﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴿٥﴾﴾[4].

لقد كانت الاراضي المقدسة مهبطاً وبداية لإنطلاق الدعوة الاسلامية وبداية لهذا العمل الجليل الذي قام به (صلى الله عليه وسلم) والذي إمتاز به عن سائر الانبياء والمرسلين، وتوج الله (عز وجل) هامته بسيادة الاولين والاخرين وظل قائماً اكثر من عشرين عاماً يحمل على عاتقه عبء الامانة الكبرى في الارض عبء العقيدة وعبء

(١) سيرة ابن هشام، ١/ ٢٦٥.
(٢) سورة الحجر، الاية: ٩٤.
(٣) سورة الشعراء، اية ٢١٤.
(٤) سورة المسد، من ١ – ٥.

الكفاح والجهاد في ميادين شتى كان منطلقها البيت الحرام والمدينة النبوية المطهرة[1]، أمتثالاً لأمر الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ ﴾[2]،﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ ﴾[3].

وشهدت هذه البقاع الفتح الذي استبشر به اهل السماء ودخل الناس به في دين الله (عز وجل) افواجاً واشرف به وجه الارض ضياء وابتهاجاً[4]، ذلك هو الفتح العظيم فتح مكة الذي اعز الله (عز وجل) به دينه ورسوله (صلى الله عليه وسلم) وجنده وحزبه وبيته وبلده الحرام الذي جعله هدى للعالمين من ايدي الكفار والمشركين، ودخل الرسول (صلى الله عليه وسلم) المسجد الحرام والمهاجرون والانصار بين يديه وخلفه وحوله وفي يده قوس يطعن اصنام البيت ويقول:﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ۝٨١ ﴾[5] والاصنام تتساقط على وجوهها.

فعلى المسلم ان يعظم ما عظّمه الله (عز وجل) ورسوله (صلى الله عليه وسلم) وبالطرق الشرعية الصحيحة وان يحذر من التعدي على حدود الله (عز وجل) بتعظيم ما لم يؤمر بتعظيمه او بإختراع طرق للتعظيم ما انزل الله (عز وجل) بها من سلطان إذ لا يكفي دعوى الاخلاص وحسن النية حتى تقرن بصدق المتابعة وحسن الموافقة لهدي

(١) الرحيق المختوم، الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، دار المعرفة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢٠٠٢م، ص ٦٤.
(٢) سورة المزمل، الاية ١ – ٤.
(٣) سورة المدثر، الاية ١ – ٧.
(٤) زاد المعاد من هدي خير العباد، ابن القيم، ٢/ ١٦٠.
(٥) سورة الاسراء، اية: ٨١.

النبي (صلى الله عليه وسلم) وسَنّته[1].

فخصّ الله تعالى (بلده الحرام) بشرف المكان وعلوّ المكانة التي حباها الله (عز وجل) بها دون سائر البلدان، مع ما يلحظ من ان هذه المكانة لا تجد من يُحسن تقديرها والقيام بحقها من بعض الناس، لما يعتبرهم من عدم المام بحرمة هذا البيت.

فيقع من منهم الاعمال والتصرفات ما لا يتناسب مع هذه المكانة والقدسية، متناسين ان تعظيمه من تعظيم شعائر الله (عز وجل) التي لا تصدر الا من تقوى القلوب، لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[2].

المبحث الخامس

الدروس والآثار الفكرية المستنبطة من تعظيم البلد الحرام

ان تعظيم البلد الحرام له دروس وعبر فكرية وآثاراً مستنبطة ونتائج مهمة جداً تتعلق بالايمان والاخلاق للمجتمع المسلم، اذ ان شرائع الاسلام مرتبطة بعضها ببعض، ويتداخل فيها الايمان الصحيح مع العبادات والاخلاق، والنتيجة ثمرة مباركة تنتج لنا مجتمع من افضل المجتمعات في العالم.

والذي أقصده هنا في هذا المبحث هو تلك الآثار التي بها أثراً بالغاً عند شيوعها في المجتمع الاسلامي ضمن آثار فكرية عقدية سليمة فضلاً عن الآثار الايمانية والاخلاقية لهذا التعظيم للبلد الحرام.

---

(١) ينظر: الحوادث والبدع، ابو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، ص ٩١.

(٢) سورة الحج، الاية: ٣٢.

ووردت روايات كثيرة تبين هذه الآثار وهذه المكانة المهمة، واصبحت هذه الروايات مادة علمية رسمية للدعاة والباحثين والمفكرين، وهو رصيد هائل يجب الحفاظ عليه، قال الدكتور اكرم ضياء العمري: «اما اشتراط الصحة الحديثية في قبول الاخبار التاريخية التي لا تمس العقيدة و الشريعة قضية تعسف كثير، واذا رفضنا منهجهم فإن الحلقات الفارغة في تاريخنا تمثل هوة سحيقة بيننا وبين ماضينا»[1].

وهناك أُموراً انفردت بها تلك الاثار الفكرية في بيان هذا التعظيم منها:

١. ربانية المصدر والغاية: والمعنى المراد هو: ربانية المصدر والمنهج وربانية الغاية، ومن هذين الامرين يظهر لنا جلياً أهمية هذا الاثر الفكري والتي تؤكد ان خلق الانسان لم يكن عبثاً[2].

وهذا المنهج والمصدر منضبط بأحكام الشريعة الاسلامية، في وسائلها التعبيرية، بعيدة عن الضلال والانحراف، وتستند الى كتاب الله (عز وجل) وسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، (فيجب على الداعية والمفكر ان يلتزم هذا المنهج والاسلوب والوسيلة، اذ يُعد هذا الاثر الفكري طريق لتطبيق الشريعة، فلا يصح الخروج عليه في اي جانب)[3].

---

(١) دراسات تاريخية مع تعليقه في منهج البحث وتحقيق المخطوطات: د. اكرم ضياء العمري، الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٩٨٣، ص ٢٧.

(٢) ينظر: الخصائص العامة للأسلام: د. يوسف القرصاوي، تلخيص: كاوار تحسين، ٣/ ٩/ ٢٠١٣ على موقع القدوة:

http//:qudwa1.com?/page= cirticle/ 20/20- 015

وينظر: الوسطية مطلباً شرعياً وحضارياً: د. وهبة الزحيلي، المركز العالمي للوسطية، الكويت، ط١، ١٩٩٧، ص٥.

(٣) ينظر: المدخل الى علم الدعوة: محمد ابو الفتح البيانوني،مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٢هـ،

٢. الشمولية والتوازن: اذ ان هذه الاثار الفكرية تشمل كل المعاني الجليلة والابعاد المهمة، اذ انها تستوعب الزمن كله، وتستوعب حياة الناس جميعها، وذلك التوازن المطلوب بين متطلبات الروح والجسد وبين العقيدة والعمل وبين القيادة والعبادة وبين العلم والدين والاخلاق والسلوك، من غير افراط ولا تفريط ولا تساهل ولا غلو[١].

٣. السهولة واليسر والواقعية: فقد خاطب الفكر الاسلامي المجتمع بأمور وأسس واقعية بعيداً عن الاوهام والخرافات في شتى مجالات الحياة، اذ انه يتعامل مع حقائق علمية موضوعية لا مع فلسفات مجردة مثالية، اذ انه انطلق من واقع الناس، وقاطبتهم مراعياً لظروفهم واحوالهم وتسير معهم بيسر وسهولة في حركة حياتهم اليومية[٢]، وهذا ما اكده الشيخ مصطفى السباعي قائلاً: «ان تكون الحركة الاخلاقية، او الدعوات والافكار، مسايرة لتطور الحياة، وتقدم العلم والحضارة»[٣].

هذا ويتحمل الدعاة والمفكرين مسؤولية مضاعفة في استخدام وتسخير كافة الوسائل والاساليب المناسبة من خلال التقدم المستمر، اذ ان عجلة التقدم الحضاري لا تعرف الوقوف، او التأخر هذا وقد ارتفعت رايات العلم والمعرفة في كل بقاع العالم عن طريق المسلمين الاوائل، وتقدم المسلمون بالحضارة العالمية الانسانية تقدم ملموس وواضح نحو العلم والمعرفة في جميع مجالات الحياة والمعرفة، في وقت كان الغرب يعيش عصور الانحطاط والتخلف والتعصب والجمود الفكري، ويشير اغلب الدعاة

٢٠٠١، ص ٣٣٩.

(١) ينظر: دراسات في منهج الدعوة الى الله: د. محمد سعد علي شعيب، وينظر: منهج القرآن في تربية الامة: المستشار عبد الله العقيل، ط، ٢٠٠٩م، ص ١٣٠.

(٢) ينظر: الاسس العلمية لمنهج الدعوة الاسلامية: عبد الرحيم بن محمد، دار الحضارة للنشر، ط١، ٢٠٠٨، الرياض، ص ٦٧٧١٢.

(٣) دعوة الاسلام واقعية لا خيال، ص ١٤٠.

والمفكرين الى ضرورة مساهمة الجميع شعوباً وحكاماً وبكل الوسائل والسبل يصل البلاغ والاثر الفكري الصحيح السليم وتصل الدعوة والنصيحة الى جميع المدعوين، والاخذ بكافة الاساليب المعنوية والوسائل المادية المتاحة لخدمة الدعوة الاسلامية.

ان لنشر شعائر وسمات تعظيمم البلد الحرام نتائج ايجابية من حيث الاثار الايمانية والاخلاقية، وغرس العقيدة الصافية والفكر الصافي وحمايتها من كل ما يعكر صفوهما، ذلك ان حسن الاخلاق صفة مستقرة في النفس البشرية سواء اكانت فطرية ام مكتسبة تؤثر في السلوك الانساني، اذ ان الاخلاق تتصف بالرسوخ وملازمة صاحبها من حيث هي حميدة او مذمومة[1].

وقد وضع العلماء والمفكرون أسساً وقواعد تعين الفرد المسلم على تربية المسلم تربية ونشأة اسلامية صحيحة وتعينه على أكتساب الاخلاق الحسنة، ومن ذلك[2]:

١. الدعاء سلاح المؤمن لتعظيم البلد الحرام: فمواطن الدعاء كثيرة ومطلقة ومقيدة في البلد الحرام، ولا شك ان الدعاء سبب في تحقيق النصر والوعد والتمكين للأسلام وأهله.

٢. زيادة الاجور والحسنات وتعلم العقيدة: اذا صحت العقيدة حُسنت الاخلاق، فهي تحمل صاحبها عن كل خلق كريم ومحمود وتبعده عن الاخلاق السيئة، فأن الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر، والاعمال نتيجة الاخلاق والاداب رشح المعارف، فمن لم تخشع جوارحه لم يفض ظاهره جمال الاداب

(١) ينظر: الاخلاق الاسلامية وأسسها: عبد الرحمن بن حسن جنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٨، ٢٠١٠م، ١/ ١٠.

(٢) ينظر: احياء علوم الدين، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، ٢/ ٣٥٧.

النبوية[1].

فأمة الاسلام خير أمة أخرجت للناس، فالامة الاسلامية تتحمل تبعات تهاونها في اظهار البلد الحرام قياماً للناس كما أمر الله (عز وجل) به.

ولثقافة تعظيم البلد الحرام اثاراً على الفرد والمجتمع، فأكد المفكرون والدعاة على ضرورة جعل تعظيم البلد الحرام اكبر دافع لأجتماع المسلمين ومذيب ومفتت للفرقة بينهم، فالكل في البلد الحرام يتمثل الامر ويتجنب النهي ويتعلم الجميع درساً عظيماً في مساواة الله (عز وجل) لعبادة في هذه البقعة المباركة، فالكل متساوٍ في تعظيم هذا البلد كما انهم متساوون في العبودية الحقة لله (عز وجل)[2].

فعند البلد الحرام تتكون لنا فكرة عن المنظر الجميل الزاهر الذي يوفره للمسلمين، ملايين المسلمين وجميع الامم والالوان بأتون من اطراف الارض كي يعبدوا الاله الواحد، فذلك العربي والزنجي والافريقي والاسترالي والامريكي والاثيوبي والفارسي والهندي وغيرهم يتآخون بعضهم مع بعض، فالجميع متساوون امام الخالق (عز وجل).

والنقطة الفاصلة والجهة التي تجمع توجهات ومهمات رجال وحملة الفكر الاسلامي في فترته الحديثة او المعاصرة هو الكشف عن الصورة البهية لهذا الدين الحنيف وكذلك حمل الناس على تعظيم شعائر الدين وتثقيفهم بثقافة تحرير المجتمع من التبعية الفكرية الضيقة[3].

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ص ٣٥٧.

(٢) ينظر: مسيحيون في مكة: اغسطس رالي، دار الوراق، لدندن، ط٢، ٢٠٠٩م، ص ٦٠.

(٣) ينظر: الفكر الاسلامي الحديث في مواجهة الافكار الغربية، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط١، ص ١٦.

وقد ترك رواد الفكر الاسلامي الحديث والمعاصر دورٌ بارزٌ لبلورة التصور الاسلامي، ودخلوا في صراع داخلي وخارجي من اجل الدفاع عن الاسلام واهله ونبيه (صلى الله عليه وسلم).

فضلاً عن القائمة الطويلة من المفكرين الذين تركوا اثاراً فكرية عميقة سلمية.

فلهذا ركز المفكرون على قضية المسألة الفكرية في اطار الدفاع عن الذات وفي اطار السياق المهم والمقارنة بين النظريات العامة بين الفكر الاسلامي والافكار والايديولوجيات الفكرية الاخرى المغايرة[1].

والذي يبدوا لي ان الفكر الاسلامي اثبت وجوده وترك اثاراً مهمة أستنبطت منها دروساً وعبراً من خلال قنوات متعددة من جمعيات وحركات اسلامية ومؤسسات ومراكز علمية وفكرية، وقادة وعلماء ومفكرين عالجوا مختلف القضايا المطروحة ووضعوا لها الحلول المناسبة، ومن ابرز هؤلاء المفكرون:[2] الشيخ يوسف القرضاوي، وفتحي يكن، وسعيد النورسي، حسن البنا، سيد قطب، ابو الاعلى المودودي، محمد الغزالي السقا، علي شريعتي، مصطفى السباعي، محمد اقبال، ومحمد رشيد رضا، وغيرهم من الشخصيات الفكرية المؤثرة على الساحة، وعليه فأن كل جهود هؤلاء المصلحون كانت تصب في عدة نقاط اساسية منها:

* الرد على بعض الدعوات المفرطة الخارجية والداخلية.
* الحفاظ على كيان الامة وتعظيم شعائرها وتنمية الثقافة الاسلامية السليمة.
* تصحيح المفاهيم الفكرية الخاطئة، واحياء الفهم الصحيح للدين.

---

(١) ينظر: الاسلام والمدينة، زكي الميلاد، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ص ٢٢.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ٣٧٧ وبعدها، وينظر اسلام المجددين: محمد حمزة، بيروت، دار الطليعة، رابطة العقلانيين العرب، ط١، ص ١٧٤.

وعرض اكثر من مؤثر لخاصية الواقعية الحركية التي تدور على خاصية الربانية، من حيث ان الواقعية خاصية اساسية في طبيعة المنهج القرآني، فهي تتجلى في تأثير ظاهرها من توجيه الاخلاق والتصرفات والسلوكيات بفضل ارتباطها بالشريعة[١]، وتتجلى كذلك في صعيد التفسير الاسلامي للوقائع والاحداث على مر التاريخ الفعلي للجماعة وللحركات الاسلامية[٢].

فالإسلام منهج حركي عملي متكامل يريد أن يوحد الجماعة المسلمة ويبني لها الطريق الصحيح والقويم، منهج يتعامل مع الواقع بجدية وصولاً الى تعظيم شعائر الله (عز وجل) والدفاع عن بقية الدين وأهله من خلال:

١. التوجه الى الواقع والابتعاد عن التعامل مع الفروض والنظريات فقط.

٢. اجراء الحوار وتمييز الحق من الباطل لتوفير الحلول والعلاجات والبدائل الاسلامية[٣].

وقد وضع مفكرو الاسلام أسس للتصور الاسلامي تعتمد على قواعد تفكير سليمة وقواعد متعلقة بطرق ممارسة العمل، وللتصور الاسلامي خصائص ثابتة تشكل حقائق عقدية تُعد مركز لها، وتنطلق منها كل جزيئات عقل وسلوك المسلم، وخصص المفكرون لهذا الغرض بحوثاً مطولة لعرض هذه الخصائص او الاركان التي يتأسس التصور المنهجي الاسلامي عليها وتتلخص في خاصيتين هما: الربانية،

(١) ينظر خصائص الاسلامي ومقوماته: سيد قطب، ص ٤٠ – ٤٣ – ٧١.

(٢) ينظر: المصدر السابق ص ٧٢.

(٣) ينظر: مدخل لدراسة العقيدة الاسلامية: عثمان جمعة ضميرية، مجلة البيان، العدد: ٥٠، ١٩٩٢، ص ٢٠، و: التفسير الاسلامي في التاريخ: عماد الدين خليل، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٨، ص ١٤ – ١٥.

والواقعية الحركية[1].

اذن الربانية تقتضي ان الفكر البشري يستمد تصوره من تلك العقيدة التي جاءت بها الرسل، فالفكر وكل طاقات الانسان فرداً وجماعة يجب ان (يعمل) ضمن الاسس الاعتقادية.

وهكذا يجمع مفكروا الاسلام على هذه الدروس والآثار الفكرية ويتفقون على جعل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما المصدران الاصيلان لكل تفكير منهجي سليم، ولكل نظام حياة، ولا يعني هذا (العودة الى النص) هو الغاء الواقع والتاريخ بحركته المتغيرة، وهذا يساعد على صياغة منهجية مقبولة ومطلوبة، تساعد على رؤية القضايا والمشكلات ضمن النمط المجتمعي الحضاري الاسلامي المطلوب[2].

الخاتمة

إن السياق المنهجي للباحثين يحتم عليهم وضع خاتمة لبحوثهم يسجلون فيه أهم النقاط التي قدحت في سماء البحث ومن هنا أسجل هذه الخاتمة المختصرة:

بعد هذا العرض والتطواف المختصر في ذكر فضائل البلد الحرام وبعض أحكامه، والمواقع المعظمة فيه، والتحذير من الالحاد فيه بالبدع والذنوب والمنكرات فلا يسعني الا دعوة اخواني المسلمين القاطنين بهذا البلد الحرام والمجاورين لبيت الله العتيق والقادمين اليه من كل فج عميق من الحجاج والمعتمرين والزائرين ان يتدبروا النصوص الشرعية

(١) ينظر: نظرية الاسلام وهديه: ابو الاعلى المودودي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٢ – ٢٦، والتوحيد ووقعنا المعاصر: عدنان علي رضا، الرياض، ط١، ١٩٩٠م، ص ١٧ – ٣٣.

(٢) ينظر: الاسلام في معركة الحضارة: منير شفيق ط بيروت، دار البراق، تونس، ط١، ١٩٩١، ص ١٥٩، ١٦٤، ١٦٧.

وان يتعلموا الاحكام بفضيلة وقدسية هذا المكان الطاهر، فهو بلد الله (عز وجل) وبيته وحرمه، شرفه الله (عز وجل) وعظّمه، واختصّه من بين سائر الاماكن ببتلك الاحكام والفضائل، فالانسان الموفق من راعي حرمته وحفظ له مكانته وحرص على زيادة الطاعات واجتنب المنكرات، وعمل بكل فضيلة وترك كل رذيلة.

ومن هنا اسجل هذه الفقرات المهمة للخاتمة مع التوصيات:

١. ذُكر البلد الحرام في القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية بأسماء عدة.

٢. الواجب على جميع المسلمين تعظيم هذا البلد الحرام ونشر هذه الثقافة في انحاء العالم.

٣. الله (عز وجل) حرم هذا البلد تعظيماً له، فهو مولد نبي الرحمة (صلى الله عليه وسلم).

٤. الاعمال والصلوات مضاعفة في هذا البلد المعظم.

٥. ان لتعظيم ومحبة هذا البلد اثاراً ايمانية واخلاقية على الجميع، وهذا ما استنبطه الدعاة والمفكرون من خلال نتاجاتهم الفكرية.

التوصيات:

١. الاستفادة من هذا المشروع وهو تعظيم هذا البلد الحرام في النشاطات الدعوية في جميع بلدان العالم الاسلامي.

٢. تعاون جميع المؤسسات الدعوية في اقطار العالم الاسلامي لتعظيم هذه الشعيرة.

٣. جعل هذا المادة العلمية مرجعاً مهماً الى طلبة العلم لكتابة الابحاث والرسائل والاطاريح.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

١. احكام الزيارة وادابها (على ضوء الكتاب والسنة) الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مطابع الرياض المدينة المنورة، طبعة ٢٠٠٦م.

٢. الاحكام السلطانية والولايات الدينية، ابو الحسن علي بن محمد الماوردي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط ١٩٦٦م.

٣. اخبار مكة، محمد بن عبد الله الازرقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٤. الاخلاق الاسلامية وأسسها: عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٨، ٢٠١٠م.

٥. الاسس العلمية لمنهج الدعوة الاسلامية: عبد الرحيم بن محمد، دار الحضارة للنشر، الرياض، ط١، ٢٠٠٨م.

٦. اسلام المجددين، محمد حمزة، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

٧. الاسلام والمدنية، زكي الميلاد، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، الدار العربية ناشرون.

٨. الاصابة في تمييز الصحابة، احمد ابن علي بن حجر العسقلاني، راجع نصوصه وضبط اعلامه وخرّج حديثه: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٩. اصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط٩، ٢٠٠٢م.

١٠. البداية والنهاية، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٩٨٦م.

١١. البلد الحرام فضائل واحكام، اعداد كلية الدعوة واصول الدين جامعة ام القرى، دار ابن حزم بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

١٢. التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، محمد طاهر كردي، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٣. تفسير القرآن العظيم، ابو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ١٤٠١هـ.

١٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تفسير الطبري، محمد بن جعفر بن جرير الطبري، تحقيق: احمد شاكر، ط٢، دار المعارف القاهرة، وطبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م.

١٥. جامع العلوم والحكم، ابو الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.

١٦. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن احمد الانصاري القرطبي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧م.

١٧. حجة خير العباد المجرد من زاد المعاد، علي بن محمد بن سنان، دار الكتب الاسلامية، المدينة المنورة ٢٠٠٦م.

١٨. الحوادث والبدع، ابو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، تحقيق: بشير عيون، مكتبة المؤيد، ط٢، دار ابن الجوزي، ط٣، ١٩٩٨م.

١٩. الدراسات التاريخية: د. اكرم ضياء العمري، الجامعة الاسلامية، ط١ ١٩٨٣م.

٢٠. دراسات في منهج الدعوة الى الله: د. محمد سعد علي شعيب، كلية اصول الدين، جامعة طنطا، (د.ت).

٢١. دعوة الاسلام واقعية لاخيال: د. مصطفى السباعي دار الوراق للنشر والتوزيع،

ط١، جمعية الاصلاح والتوجيه.
٢٢. دور الحضارة العربية الاسلامية في النهضة الاوربية: شوقي خليل، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ.
٢٣. الروض الانف، ابو القاسم السهيلي، مطبعة الجمالية، القاهرة، الطبعة الاولى.
٢٤. زاد المعاد من هدي خير العباد، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن بكر بن ايوب ابن القيم الجوزية، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط١٣، ١٩٨٦م.
٢٥. سنن الترمذي، ابو عيسى بن محمد الترمذي، تحقيق: احمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى الحلبي واولاده، القاهرة، ط٢.
٢٦. سنن النسائي، احمد بن شعيب ابو عبد الرحمن النسائي تحقيق: عبد الغفار البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
٢٧. السيرة النبوية ابن هشام، ابو محمد عبد الملك بن هشام الحميري، مكتبة المنار، عمان، طبعة ١٩٨٨م.
٢٨. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، محمد بن احمد ابو الطيب الفاسي المكيّ المالكي، مكتبة النهضة الحديثة، القاهرة، ودار الكتاب العربي، ط١، ١٩٨٥.
٢٩. الصحاح، اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.
٣٠. صحيح ابن حبان، محمد بن احمد ابو حاتم بن حبان البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.
٣١. صحيح البخاري، الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري، ضبط النص: محمود حسن النصار، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.
٣٢. صحيح مسلم، الامام ابو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الحديث،

القاهرة، ط١، ١٩٩١م.
٣٣. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني، تعقيب: عبد العزيز بن باز، دار الفكر، ببيروت، طبعة ١٩٩٠م.
٣٤. الفكر الاسلامي الحديث في مواجهة الافكار الغربية محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط١.
٣٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن ابي بكر الهيثمي، تحرير الحافظين العراقي وابن حجر، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٦م.
٣٦. المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، ابو موسى الاصفاني، مركز احياء التراث الاسلامي، القاهرة.
٣٧. مختار الصحاح، الامام محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي ترتيب، السيد محمد خاطر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، الطبعة ٩، ١٩٧٦م.
٣٨. المسند: الامام احمد بن حنبل الشيباني، دار احياء التراث العربي، بيروت، طبعة ١٩٩١م.
٣٩. مسيحيون في مكة: اغسطس رالي، دار الوراق لندن، ط٢، ٢٠٠٩.
٤٠. منهج القرآن في تربية الامة: المستشار عبد الله العقيل، ط١، ٢٠٠٩م.
٤١. النهاية في غريب الحديث والاثر، ابو السعادات محمد بن المبارك (ابن الاثير)، تحقيق: طاهر احمد الزواوي، المكتبة الاسلامية، القاهرة.
٤٢. الوسطية مطلباً شرعياً وحضارياً: د. وهبة الزحيلي، المركز العالمي للوسطية، الكويت، ط١، ١٩٩٧م.
٤٣. خصائص التصور الاسلامي ومقوماته: سيد قطب حسن، دار الشروق، بيروت، ط ١٢، ١٩٩٢م.

٤٤. التفسير الاسلامي للتاريخ: عماد الدين خليل، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م.
٤٥. نظرية الاسلام وهديه: ابو الاعلى المودودي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.
٤٦. الاسلام في معركة الحضارة: منير شفيق، دار البراق، تونس، ط١، ١٩٩١م.

المواقع الالكترونية:

١. الخصائص العامة للأسلام: د. يوسف القرضاوي، تلخيص: كاوار تحسين، موقع القدوة بتاريخ ٣٠/ ٩/ ٢٠١٣ رابط
http://qudwa1.com/?page=articles/20/20-015

المجلات والدوريات:

١. مجلة البيان، العدد ٢٧٨، عدد شوال، ١٤٣١هـ.
٢. مجلة البيان، العدد ٥، عدد ١٩٨٢م.